احتفالية المولد النبوي الشريف في الجزائر

أ.د عبد القادر خليفي

جامعة وهران1 أحمد بن بلة

مقدمة

تحيي شعوب العالم كلها ذكريات أبطالها وأمجاد رجالها، وتعيد نشر أعمالهم والتحدث عن منجزاتهم، وبخاصة بين شباب الأمة، ليتعظ الناس ويتحاشوا سبيل الغفلة، ويستقوا أعمال أسلافهم العظماء ليكون ذلك نبراسا لمستقبلهم وضياء ينير دربهم نحو العزة والمجد.

ومحمد رسول الله وخاتم النبيئين هو أعظم شخصية في اعتقاد المسلمين باعتباره رسول الإسلام، استطاع في مدة قصيرة أن ينشئ الدولة الإسلامية الأولى وعاصمتها المدينة المنورة. ويدين اليوم بدين الإسلام مئات الملايين من البشر، وتتوسط البلدان الإسلامية العالم القديم في إفريقيا وآسيا وحتى في أوربا.

لم يقتصر الإعجاب بمحمد -صلى الله عليه وسلم- وتعظيمه، على المسلمين فحسب، بل تجاوزهم إلى أناس من قوميات أخرى؛ فقد اعترف بفضله أحد علماء العصر الحديث، وهو مايكل هارت في كتابه: "أكثر الشخصيات تأثيرا في العالم"، الصادر سنة 1970 باللغة الإنكليزية؛ حيث وضعه في صدارة قائمة المائة شخصية المؤثرة في العالم، يليه اسحق نيوتن فالمسيح عيسى عليه السلام فبوذا فكونفوشيوس....[1]

وقد بدأ المسلمون يحيون ذكرى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، من خلال الاحتفال بمولده في شهر ربيع الأول من كل عام. وانتشرت ظاهرة الاحتفال هذه منذ ظهور الدولة الفاطمية في شمال إفريقيا، ومنها انتقلت إلى مختلف الشعوب الإسلامية؛ حيث وجد المسلمون في هذا الاحتفال فرصة للتعبير عن حبهم للنبي والتعلق به وإتباع سنته واستعادة ذكراه بإحياء يوم مولده.

ولد النبي محمد صلى الله عليه وسلم، من أبيه عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، ومن أمه آمنة بنت وهب، في اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول من عام الفيل، كما يسميه العرب، وهو التاريخ الموافق لعام 570 ميلادية، في هذا العام هاجم أبرهة الحبشي مكة المكرمة بهدف هدم كعبتها المشرفة، بعد أن حاول تحويل حجاجها إلى الكنيسة التي بناها قومه في صنعاء، وكانت نهاية جنوده الهزيمة والفشل.

يذكر جلال الدين السيوطي أن "أول من أحدث فعل ذلك –صاحب أربل- الملك المظفر أبو سعيد كوكبري.... أحد الملوك الأمجاد والكبراء الأجواد..."[2] المتوفى سنة 630هـ/1232م، وقد عاصر صلاح الدين الأيوبي. صنف له أبو الخطاب ابن دحية مجلدا في المولد النبوي سماه: "التنوير في مولد البشير النذير"؛ فأجازه على ذلك بألف دينار.

إن المتتبع لكتب التاريخ لن يجد أحدا قبل الفاطميين احتفل بذكرى المولد النبوي؛ فقد كان الناس يحتفلون بالذكرى في مصر احتفالا عظيما، في عهد المعز لدين الله الفاطمي العبيدي الباطني من بني عبيد القداح.[3]

بين القبول والرفض

إذا ما عدنا إلى السنين الأولى من العصر الإسلامي فلن نجد مثل هذا الاحتفال؛ فلم يول المسلمون الأوائل أهمية ليوم مولده صلى الله عليه وسلم؛ ولم يخلده صحابته ولا التابعون، ولهذا لم يسن هذا العيد في الإسلام، وبعد مرور قرون عديدة، ونظرا للشوق الذي يكنه المسلمون للرسول صلى الله عليه وسلم، بدأوا الاحتفال بمولده رسميا وشعبيا. وهو لا يعدو كونه بدعة استحسنها بعض علماء هذه الأمة وأقروها، في الوقت الذي استقبحها آخرون وأنكروها بشدة، ومنهم من يعتبر الأمر مجرد استعادة ذكرى بطل عربي مسلم مثلما يفعلون مع بقية زعماء الأمة الذين اشتهروا بأعمالهم وإنجازاتهم السامية لصالح الأمة والمجتمع، وإن كان يفوقهم جميعا بخصاله ومواهبه الكبيرة وبقدسيته ومعجزاته. وما زال أمرها خلافيا إلى الآن.

فمن الذين استحسنوها الإمام الحافظ أبو الفضل ابن حجر العسقلاني، حين يقول: "أصل عمل المولد بدعة لم تنقل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة، ولكنها مع ذلك قد اشتملت على محاسن وضدها، فمن تحرى في عملها المحاسن وتجنب ضدها كان بدعة حسنة."[4] ومنهم الإمام السخاوي، حين يقول: "...فرحم الله امرئ اتخذ ليالي هذا الشهر المبارك وأيامه أعيادا لتكون أشد علة على من في قلبه مرض وأعيا داء."[5]

وقد اتخذ جلال الدين السيوطي موقفا مشابها في هذه القضية، حين سئل عن عمل المولد، وقيده في كتابه، الذي خصصه للمولد النبوي والموسوم بـ: حسن المقصد في عمل المولد: "والجواب عندي، أن أصل عمل المولد الذي هو اجتماع الناس، وقراءة ما تيسر من القرآن، ورواية الأخبار الواردة في مبدأ أمر النبي صلى الله عليه وسلم، وما وقع في مولده من الآيات، ثم يمد لهم سماطا يأكلون وينصرفون من غير زيادة على ذلك؛ من البدع الحسنة التي يثاب عليها صاحبها، لما فيه من تعظيم قدر النبي صلى الله عليه وسلم، وإظهار الفرح والاستبشار بمولده الشريف."[6]

ولكنه ينكر بعض الأعمال المشينة التي كانت تمارس في المناسبة كاستعمال آلات الطرب، ويقول: "فمن ذلك استعمالهم المغاني ومعهم آلات الطرب من الطار المصرصر والشبابة وغير ذلك مما جعلوه آلة طرب للسماع، ومضوا في ذلك على العوائد الذميمة."[7]

ويناقش مسألة تفضيل بعض الشهور وبعض الأيام كشهر رمضان ويوم الاثنين الذي ولد فيه النبي صلى الله عليه وسلم، ويذكر أنه علينا أن نفضل هذا الشهر(ربيع الأول) ونشرفه. "فعلى هذا ينبغي إذا دخل هذا الشهر الكريم أن يكرم ويعظم ويحترم الاحترام اللائق، إتباعا له صلى الله عليه وسلم في كونه كان يخص الأوقات الفاضلة بزيادة فعل البر فيها وكثرة الخيرات." ويضيف: "فعلى هذا فتعظيم هذا الشهر الشريف إنما يكون بزيادة الأعمال الزاكيات فيه والصدقات إلى غير ذلك من القربات."[8]

ويقول أحمد حماني، أحد أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ورئيس المجلس الإسلامي الأعلى سابقا بالجزائر في هذا المجال ما يلي: "وقد اعتادت الأمة الإسلامية، كل سنة، أن تحتفي بذكرى ميلاده في اليوم 12 من أول الربيعين، وأن تعتبر هذا اليوم عيدا لها. يصطبغ بالصبغة الدينية، وإن لم يكن عيدا دينيا بالمعنى الشرعي."[9]

ويقول أيضا: "إن يوم محمد صلى الله عليه وسلم في الأيام، لهو اليوم الأغر وإن ذكراه لأجل الذكر، وإن العبرة في ذلك لأعظم العبر."[10]

ويوضح سبب هذا الاتفاق بقوله: "وهم اليوم مجمعون على الاحتفاء فيه، والاحتفال به حبا في محمد عليه الصلاة والسلام ووفاء له وتمسكا بشريعته وإعلانا للارتباط بسنته. ومن أحق الناس باحتفاء المسلمين واحتفالهم به، وإظهار محبته والتعلق به، وإعلان الوفاء له والابتهاج بيومه، من محمد صلى الله عليه وسلم ويومه؟[11]

أما مولود قاسم نايت بلقاسم المفكر الجزائري ووزير التعليم الأصلي والشئون الدينية السابق فيوافق على إقامة هذا الاحتفال مبررا ذلك بما تفعله الدول الكبرى المتطورة من إحياء لذكرى أبطالهم ويقول: إن "الدول المتقدمة اليوم تحتفل بأدنى شيء من مظاهر حضارتها وماضي فكرها ومجدها. نجد ذلك في البلدان المتطورة التي لا تحتاج إلى دعاية كثيرة في الواقع.. تريد بذلك غرس الاعتزاز بماضيها في شبابها والإشادة بأمجادها لتبقى تلك القيم دائما حية في أولادها، ولتمد الأجيال التي تأتي بعدها بتلك الشعلة.."[12]

ولذلك فهو لا يرى مانعا من استعادة ذكرى أبطالنا ومآثرنا السابقة، مبررا ذلك بقوله: "ونحن علينا أن نفعل ذلك ليس فقط حتى لا يتوهم شبابنا أننا نعيش من فتات البشرية فقط، ولم نزد على تراثها شيئا، بل أيضا لنغرس في نشئنا روح الاعتزاز وروح الثقة بماضيه وبتقاليده وبأصالته وبتراث أجداده، بأمجاده لتستمر في الإنتاج ليستأنف هذه المسيرة ولينتج

للبشرية، وليستمر قدما في مصاف الأمم في هذه المسيرة الحضارية والفكرية..."[13]

أما من ينكر هذا الاحتفال فيعتبره بدعة، لم يسنها الرسول ولا أصحابه من بعده، وهو المبرر الأساس عندهم؛ وهذا استنادا إلى حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "..وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار."[14] وقوله: "وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة." وغير ذلك من الأحاديث المشابهة.

ومن المنكرين لإقامة الاحتفال بذكرى المولد النبوي نذكر أيضا الإمام ابن تيمية والإمام الشاطبي وابن الحاج المالكي والشيخ عبد الرحمن بن باز وتاج الدين الفكهاني وغيرهم... حيث يرون ذلك زيادة في الدين، لم يقم به السلف الصالح، وهم الأولى بمحبة الرسول من غيرهم، وإتباعهم أولى من مخالفتهم، فهم القدوة والأسوة الحسنة.

ويزداد اعتراض مثل هؤلاء من المعاصرين، حين يرون بعض الممارسات والطقوس التي تقوم بها العامة من الجزائريين ومن غيرهم في البلاد الإسلامية في هذه المناسبة، من مبالغات كتبذير المأكولات والمشروبات، وما يقوم به الناس من تجاوزات تتنافى والتعاليم الإسلامية؛ وما يقوم به الأطفال من إطلاق للمفرقعات وإحداث الضجيج، مما يؤدي إلى إقلاق الناس في راحتهم؛ وقد يؤدي هذا إلى حروق وإعطاب هؤلاء الأطفال أنفسهم في أيديهم ووجوههم.[15]

ويرفض هؤلاء الاحتفال بالمولد النبوي مستندين في ذلك على ما تقوم العامة الذين حولوا الاحتفال إلى نوع من العادة المستهجنة مما قد يرتكب فيها من فواحش أو ممارسات بعيدة عن السنة النبوية. ولذا فإن من شروط إقامة هذا الاحتفال هو التقيد بما جاء به النبي من فروض وسنن، وعدم تجاوزها إلى ما يشينها من قريب أو بعيد.

وقد أنكر رجال جمعية العلماء ما كان يقوم به بعض العامة مما يسمونه "وعدات"، يقيمون فيها الإطعام حول قبور أولياء بلدانهم ويتمسحون بالأضرحة، وهي ممارسات قد تصل بصاحبها إلى الشرك بالله سبحانه. تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

وفي هذا يقول أحمد حماني عضو جمعية العلماء، إن بعض الناس "ابتدعوا موالد... وأقاموا لها احتفالات مصبوغة بالدين. وهم عن الأركان والفرائض من الدين غافلون. وعن الصلاة لاهون، كثير منهم ألصقوا بها بدعا ومنكرات شنيعة وارتكبوا فيها موبقات فظيعة، مما يتبرأ منه الدين ويشمئز لدى رؤيته كل ذي خلق قويم."[16]

الاحتفال بالمولد النبوي في الجزائر

لنعد الآن إلى وضعية الاحتفال بالمولد النبوي في الجزائر، ولنتتبع بعض هذه الاحتفالات في البلاد الجزائرية من خلال بعض المحطات التاريخية:

1-في العهد الزياني

كان الناس يحتفلون بذكرى المولد النبوي في العهد الزياني (633-966هـ/1236-1554م) احتفالا كبيرا يفوق كل احتفال، وكان للملوك مشاركة ملموسة، مما يضفي على الاحتفال نوعا من الرسميات، ومما يشجع على انتشار هذه الظاهرة بين مختلف طوائف المجتمع. وكان السلطان أبو حمو موسى الثاني(760-791هـ) من أكبر المشجعين على الاحتفال بالمولد النبوي، والذي أولاه أهمية كبيرة، يتضح ذلك مما ذكره صاحب كتاب "بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد."[17] كما اشتهر هذا السلطان في الوقت نفسه بآثار أدبية تنبئ عن ثقافة عربية لا يستهان بها. أهمها كتابه: "واسطة السلوك في سياسة الملوك".

كان أبو حمو "يشرف على هذه الاحتفالات بنفسه ويقيم لها بقصره عرسا من الزينة والجمال؛ فقد كان يدعو أهل الرأي والعلم والفضل من سكان تلمسان في كل مولد يصادفه بعروس الجزائر الخضراء... وكان

المحتفلون يقضون الليل كله في ترديد الأوراد والأذكار الخاصة لمدح النبي."[18]

وكان أبو حمو من المولعين بالقصائد المولدية التي تخلد الذكرى، وقد أبدع هو نفسه في ذلك قصائد بليغة في مدحه صلى الله عليه وسلم، يظهر فيها الشاعر أبو حمو شوقه ومحبته للرسول. وإلى جانب ذلك كان أبو حمو شاعرا في أغراض مختلفة كالفخر والحماسة والرثاء.

وقد أشار المؤرخون لدولة بني زيان إلى اهتمام ملوكها بالاحتفال بليلة المولد الشريف شأنهم في ذلك شأن بني الأحمر بالأندلس وبني مرين بفاس وغيرهم من السلاطين.[19] ومن ثم تتضح خلفيات إشراف دول الغرب الإسلامي على الاحتفال بالمولد النبوي وتعبئة كل الفئات الاجتماعية، ومن ضمنهم المتصوفة بالأندلس، الذين طبعت احتفالاتهم بطابع تقديسي، مفعم بالدلالات والرموز الراسخة في البنية الثقافية الأندلسية."[20]

ويقول أحد الكاتب الجزائريين السابقي الذكر في هذا المجال: "صادمتنا مادة ضخمة ثرية لا ينقطع مدادها، ولا تنتهي أبعادها. فقد كان الشعراء الزيانيون كلفين أشد الكلف بالقصائد المولدية يقرضونها في مدح النبي صلى الله عليه وسلم كلما تجددت ذكريات مولده مع السنين."[21]

وها هو وصف لواحدة من تلك الاحتفالات الكبيرة، يقول مؤلف كتاب "بغية الرواد" ما يلي: "وأظلت ليلة المولد النبوي، على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم، فأقام لها(أبو حمو موسى) بمشوار دار العلية مدعى كريما وعرسا حافلة، احتشدت لها الأمم وحشر بها الأشراف والسوقة، فما شئت من نمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة ومشامع كأنها الاسطوانات القائمة على مراكز الصفر المموهة، والخليفة، أيده الله، صدر مجلسها ممتطيا سرير ملكه يسر الناظرين رواؤه، ويثلج الصدور عزه، وتحار في كمالات خلاله النهى..."[22]

ويواصل الكاتب وصف ذلك التجمع البشري بكل أطيافه، وما يقدم لهم من أصناف الأطعمة واللهو. كما يصف تلك "المقانة" ذات تماثيل اللجين

المحكمة وما يخرج من جوفها من أعاجيب، ويصفها بأنها من حيل أحكمت يد الهندسة وضعها. أما دورها فتحديد الساعات الزمنية..."[23]

وكان الاحتفال بالمولد النبوي يستمر طوال ليلة المولد، يقول المؤلف في هذا المجال: "...ولم يفارق الخليفة، نصره الله، مجلسه أول الليل إلى أن صلى الصبح في الجماعة، ثم غدا على داره السعيدة.. وعلى هذا الأسلوب مرت المواليد النبوية بعد هذا في مدته السعيدة، طالت أيامها وانتشرت في هضاب أعلامها."[***]

وقد قسم صاحب الكتاب المذكور كتابه، منهجيا، بحسب السنوات الهجرية. وبما أن الخليفة كان يحتفل بالمولد النبوي على الدوام؛ فإننا سنجد قصائد مدح النبي في كل سنة من السنوات المذكورة. من قبل الخليفة الشاعر؛ ومما يلاحظ على تلك القصائد أنها على ميزان واحد وهي كلها بائية، كما ترد قصائد مماثلة لشعراء غيره.

ويقول محمد بن عبد الله التنسي: "وكان يقوم بحق ليلة مولد المصطفى صلى الله عليه وسلم، ويحتفل لها بما هو فوق سائر المراسم، يقيم مدعاة يحشر لها الأشراف والسوقة، فما شئت من نمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة وشمع كالأسطوانات، وأعيان الحضرة على مراتبهم، تطوف عليهم ولدان قد لبسوا أقبية الخز الملون، وبأيديهم مباخر ومرشات، ينال منها كل بحظه.."[24]

ومن المولدات في شعر أبي حمو قصيدة وردت في كتاب بغية الرواد، نقتطف منها تشوقه إلى زيارة قبر النبي خلال احتفاله بمناسبة ليلة المولد النبوي، وذلك في قوله:

الحب أضْعف جسمي فوق ما وجبا والشـوق ردّ خيالي بالسقام هبا
والبيْن أشعل نار الوجْد في كبدي والدمع يضرمها في القلب وا عجبا.

ويذكر النبي ويقول:

فهو الحبيب بأقصى الشرْق شوّقني والقلب من أجله في الكرْب قد نشبا
صلى عليه إله العـرْش خـالقـنا ما غنت الطير في أفنانها طــربــا

ثـم السـلام عـليْـه دائـما أبـدا   مــا أطلـع الأفــْق منْ أنواره شهبا.[25]

ويذكر صاحب كتاب "بغية الرواد" احتفال أبي حمو بذكرى المولد مرة أخرى قائلا: "وحضرت ليلة الميلاد النبوي على صاحبه أفضل الصلاة والسلام, فكان الاحتفال بمدعاها عظيما, وما أنشده مسْمعها من نظم مولانا الخليفة، أيده الله مدحا في شفيعه خير المرسلين صلى الله عليه وسلم قوله:

بــلاد مـقـدســة حــلـهــا   نبي الهدى المصطفى المجتبى
فشهر ربيع أتى بــرفـــيـع   نبـــي شــفـيـع لــمـن أذنـــبـا
نــبي أتى رحـمـة لـلـعـبـاد   وأظـهـــر للحق نورا خـــبـا
ونيران فارس قد أخمدتْ   فـلـلـــه ذلـــك مــا أعـجـــبـا
وكسرى تــساقط إيوانـه   وذاق من الرعب كأس الظبا
وكلمت الوحش للمصطفى   ونــطق الــذراع لــه أعْجــبا
وحنّ له الجــذع مستوحشا   وكلّمــه الظبــي مستغـريا
وشقّ له البدر عـند التمام   وردّت لــه الشمس أن تــغـربا
وأسْــرى به لـيلـة الإرتقا   إلى قـــاب قوسيْن أو أقــربا
وكم معجزات لخير الورى   تجلّ عن الوصف أن تحْسبا."[26]

نستنتج مما سبق شدة عناية الزيانيين بعامة وأبي حمو بخاصة بذلك القدر من الاهتمام الكبير بالمولد النبوي الشريف، وكيف كان أبو حمو يعظم ذلك اليوم وتلك الليلة بما يليق، بحسب ما كان يراه تذكيرا وتعظيما، وبما كان يلقى في تلك المناسبة من قصائد مدح وشوق عظيم للنبي صلى الله عليه وسلم.

2-في دولة الأمير عبد القادر

كان الأمير عبد القادر قائد المقاومة الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي(1832-1847) حين انسحبت السلطة العثمانية منهزمة أمام القوة الفرنسية في جويلية سنة 1830، يحي ذكرى الولد النبوي، وقد أورد ابنه محمد في كتابه تحفة الزائر نصا يبين فيه كيفية احتفال الأمير بهذه

الذكرى. وجاء العنوان كالتالي: "ذكر احتفال الأمير للمولد النبوي والعيدين."
والنص هو:

"كان يحْتفل للمولد النبوي أيام إمارته(الأمير) احتفالا عظيما، فيخْرج يوم المولد الشريف هو وخاصته وأمراء جيشه إلى أرض فيحاء متسعة، ثم تصنع العسكر فيها شبه محاربة، بحيث تقف العسكر المشاة المنظمة كهيأة قلعة مربعة الأركان، ويضعون ما يحتاجون إليه من البارود والذخائر وسط تلك القلعة، ويجعلون في كل ركن من أركانها مدفعين..." وبعد أن يفصل الكاتب كيفية إجراء تلك الألعاب بالفرسان والبارود بين الفرسان حراس القلعة والخيالة المهاجمة، يضيف الكاتب قائلا: ".. ويستغرق هذا العمل مقدار ساعتين من النهار، فيشاهد الناظر من تلك الأفعال ما تقر له الأعين وتبتهج به النفوس، وتقول في حقه الألسن لا عطر بعد العروس.."[27]

واحتفال الأمير عبد القادر بالمولد النبوي في ذلك العصر، دليل على وجود هذا الاحتفال بين مختلف فئات الشعب الجزائري من حوله من جهة، كما أنه تقليد لما سار عليه سلفه من الجزائريين. ونظرا لظروف الأمير الحربية الجهادية، فقد ربط الاحتفال بالمولد النبوي بالظاهرة العسكرية عن طريق إشراك أفراد جيشه في إحياء المناسبة، وفي التعبير عن الاحتفال بموضوع عسكري، وهو عملية الهجوم والدفاع.

3-عند ابن باديس

لم يشذ الشيخ عبد الحميد بن باديس عن الذين يحيون ذكرى المولد النبوي، وعن هذه الظاهرة التي انتشرت في العالم الإسلامي، باعتباره أحد أعلام الجزائر في النصف الأول من القرن العشرين، وزعيما لأهم مؤسسة ثقافية جزائرية أصيلة، كانت لها مواقف خطيرة في حياة الجزائريين في العهد الاستعماري، وهي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

وقد نشرت صحيفة الشهاب الصادرة بقسنطينة بتاريخ 11 جوان 1937م/ربيع الثاني 1356هـ مقالا تحت عنوان: "تحية المولد الكريم"، جاء

فيه أنه أقيم حفل بمناسبة ليلة المولد تحت إشراف جمعية التربية والتعليم الإسلامية بقسنطينة؛ التي كان الشيخ ابن باديس قد أنشأها سنة 1931، وأدارها على ثلاثة أسس فلسفية: "قصدها قصدا، وقد أشار إليها صراحة في مجلة الشهاب، حيث قال: "بنى القانون الأساسي للجمعية من الوجهة التربوية على تربية أبناء المسلمين(الجزائريين) تربية إسلامية بالمحافظة على دينهم ولغتهم وشخصيتهم ومن الوجهة التعليمية على تثقيف أفكارهم بالعلم باللسانين العربي والفرنسي وتعليمهم الصنائع."[28]

وألقيت في تلك السهرة قصيدة للشيخ عبد الحميد بن باديس، هي من أروع ما أبدع الشيخ من جهة، وأجل ما تحمل من معان ودلالات مرتبطة بالهوية الجزائرية برفض المساس بها أو إنكارها. جاء فيها:

حيّيت يــا جمـْع الأدب	ورقـيت ســامية الرتــب
ووقيت شر الكائدين	ذوي الدسائس والشغــب
ومنعت في العلياء ما	تــسمو إليه مــن أرب
أحْييْت موْلده بما	يبري النفوس من الوصبْ
بالعلم والآداب والـ	أخلاق في نشْء عــجــبْ
نشْء على الإسلام أسـْ	سّ بنائه السامي انتصب
نشْء بحبّ محمد	غـــذاه أشــياخ نــجــبْ
فبه اقتدى في سيْره	وإليه- بالحق- انتسبْ
وعلى القلوب الخافقات	إلــيه رايــتــه نــصــب
بــالروح يفديها ومــا	يغري النفوس من النشب
وبخلقه يحمي حماها	أو بــبارقـــة القــضــبْ
حتى يــعود لــقومه	من عزهم مــا قد ذهــب
ويرى الجزائر رجّعت	حــق الحــياة المــسْتــلب
يا نشْء يا ذخر الجزائر	في الشــدائـد والــكرب
صدحتْ بلابلك الفصا ح	فــعمّ مجْمعنا الطــرب
وأذقتنا طعْما مــن الـ	فصحى ألذّ من الضربْ،

وأريْت للأبـصار مــا قدْ قرّرته لـك الكتــب
شعب الجزائر مسلم وإلى العــروبــة يـنتسـب..

وتضم القصيدة أربعين(40) بيتا كتب في نهايتها ما يلي: كتب قسنطينة يوم الاثنين 13 ربيع الأول 1356/(1937)[29].

وهكذا كانت أهم قصيدة للشيخ ابن باديس(شعب الجزائر مسلم..) قد ظهرت بمناسبة إحياء ذكرى المولد، وكانت قصيدة رائعة معبرة كسبت شهرة ودواما في دنيا الجزائر والجزائريين.

ويؤكد أحد أعضاء جمعية العلماء(مسعود البشير بن الشيخ) هذا الاحتفال، ويذكر أن الشيخ عبد الحميد بن باديس "كان يغتنم المناسبات الدينية مثل ذكرى المولد النبوي الشريف وشهر رمضان وعيدي الفطر والأضحى ليقيم نشاطات ثقافية ودينية لبث الوعي الوطني والديني في أوساط الشعب الجزائري. لذلك فقد كان الاحتفال بذكرى المولد النبوي بحضور الأفواج الكشفية "الرجاء" و"الصباح" في سنة 1937.. فرصة لميلاد النشيد الجزائري الخالد الذي ألفه الإمام ابن باديس:

شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب.."[30]

ويتحدث محمد الصالح رمضان أحد أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عن إحياء المولد النبوي في قسنطينة أيام ابن باديس، ويذكر أن جمعية التربية والتعليم الإسلامية أقامت حفلا ليلة المولد لسنة 1939، أحيته النساء القسنطينيات فقط بالجامع الأخضر، وأن عددهن قد جاوز الألف امرأة. ولم يحضر من الرجال إلا زهاء عشرين كان لا مناص من حضورهم لتنظيم الحفل. كما حضرها الشيخ ابن باديس وألقى كلمة بهذه المناسبة."[31]

وكان الشاعر المعاصر محمد العيد آل خليفة من الذين يشاركون في مثل هذه الاحتفالات. وقد أبدع قصيدة أنشدها في احتفال المولد النبوي الذي

أقامته جمعية الشبيبة الإسلامية بنادي الترقي على عادتها ونشرتها جريدة البصائر سنة 1937، نقتبس منها ما يلي:

ألا أنْعِمْ أيها النادي — بذكرى موْلد الهادي
لقد جئناك ورّادا — على آثاره ورّاد
وقمنا في مسرات — وأفراح وأعياد
نحي خير مولود — بدا في خير ميلاد
نحيّ سيدا في الخلـ — ـق متبوعا بأسياد
نحيّ مرشدا لم يبـ — ـغ منهم أجر إرشاد..

ومن خلال سبعين بيت ينتهي الشاعر إلى القول:

ألا فليحي حزب اللـ — ـه في نصر وإمداد
ألا فليحي دين اللـ — ـه آماد الآماد.[32]

يتضح مما سبق أن الاحتفال بالمولد النبوي كان مترسخا في الأوساط الجزائرية الرسمية منها والشعبية منذ عهد بعيد، وأن استمرار هذا التقليد من محبة الرسول والتعلق به.

5- احتفالية المولد في الجزائر حاضرا

تحي اليوم ذكرى المولد النبوي رسميا في الجزائر بتنظيم دروس وندوات في المساجد وتخصيص خطب الجمع لاستعادة سيرة النبي واستعراض أعماله النبيلة في سبيل هداية الناس، استنادا إلى قوله تعالى: "**وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها...**"[33]

كما يعتبر اليوم الثاني عشر(12) من شهر ربيع الأول من كل عام عيدا دينيا تتعطل فيه المؤسسات العامة مثله في ذلك مثل عيدي الفطر والأضحى ويوم عاشوراء وأول محرم، إذ أنها أعياد دينية باعتبار الدولة الجزائرية دولة مسلمة، أكدتها الدساتير الجزائرية منذ الاستقلال حتى آخر دستور لسنة 1996. باعتبار الدين الإسلامي دين الدولة(المادة: 2)

وقد دأب الجزائريون عامة على الاحتفال بهذه المناسبة بالتزاور والإطعام وطلاء الحناء في أيدي وأرجل الأطفال، وتحضير أكلات شعبية معينة بالمناسبة(تانقتة-الطمينة..)، والتغني بما يسمى "التميليدْ" أو "التبْراشْ"، وهي مقطوعات شعبية منظومة تنشد من قبل النسوة ومن الأطفال، تمجد الرسول وتتغنى بخصاله، وقد تناقص كل ذلك سنة بعد أخرى نتيجة التشتت العائلي وظروف الحياة الجديدة وما تحمله من تطور في ميادين الاتصال والألعاب الإلكترونية، ولم يبق ظاهرا سوى تلك المفرقعات التي يطلقها الأطفال هنا وهناك...

ولقد ربى المسلمون في الجزائر أبناءهم على حب الرسول صلى الله عليه وسلم؛ فهم يصلون عليه كلما ذكروه، وهم يسمون أول أبنائهم باسمه، وقد أكثر الشعراء من مدحه في قصائد كثيرة، مما دعا إلى تسمية الشعراء الشعبيين (شعراء الملحون) بـ "المداحين"، سواء لأنهم يلقون قصائد في مدح النبي أو أنهم يفتتحون مختلف قصائدهم الأخرى بمقطوعة في مدحه صلى الله عليه وسلم تيمنا وتبركا به. واشتهر رجال الطرق الصوفية في إبداع الكثير من قصائد المدح مما يردد بينهم كلما اجتمعوا في زواياهم ودورهم.

من ذلك ما جاء في أوراد الطريقة الدرقاوية في الصلاة على النبي، والتي يرددها المريدون خلال أيام وليالي المولد النبوي وفي غيرها من المناسبات نذكر ما يلي:

اللهم صل على سيدنا ومولانا محمد، حتى لا يبقى شيء من الصلاة عليه.

اللهم صل على سيدنا ومولانا محمد في الأولين. اللهم صل على سيدنا ومولانا محمد في الآخرين.

اللهم صل على سيدنا ومولانا محمد في الملإ الأعلى إلى يوم القيامة ما شاء الله، لا قوة إلا بالله العلي العظيم.

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا ومولانا محمد، وأعطه الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته، إنك لا تخلف الميعاد.

اللهم عظم شأنه وبين برهانه وأبلج حجته وبين فضيلته وتقبل شفاعته في أمته...[34]

ومن الأدعية التي تتكرر لدى العديد من الطرق الصوفية هذا الدعاء: "اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليما عدد خلقك ورضا نفسك وزينة عرشك ومداد كلماتك." ومنها أيضا: "اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليما بقدر عظمة ذاتك في كل وقت وحين."[35]

وتشترك الطرق الصوفية في ترديد قصيدة الشيخ البوصيري(البردة) في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، وتردد بخاصة أيام مولده(الأسبوع الذي يلي اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول)، والتي مطلعها:

أمــنْ تذكر جــيران بذي سلم　　　مزجت دمعا جرى من مقلة بدم
أم هبّت الريح من تلقاء كاظمة　　　وأوْمض البرق في الظلماء منْ إضم..

ومما جاء فيها حول النبي صلى الله عليه وسلم:

محمد سيد الكونين والثقلين　　　والفريقين من عرب ومــن عــجم
نبينا الآمــر النــاهي فلا أحد　　　أبرّ في قول لا منه ولا نــعم
هو الحبيب الذي ترجى شفاعته　　　لكل هوْل من الأهوال مقتحم
دعا إلى الله فالمستمسكون به　　　مستمسكون بحبل غير منفصم
فــاق النبيين في خلــق وفي خلق　　　ولم يــدانوه في عــلم ولا كرم
وكلهم من رسول الله ملتمس　　　غرفا من البحر أو رشفا من الديم..[36]

فمحمد هو رسول الرحمة، أخرج الناس من الظلمات إلى النور بوحي من الله سبحانه وتعالى، ولم يلتحق بربه إلا وقد تحررت شبه الجزيرة العربية من المشركين، وأكمل أصحابه ثم أتباعه نشر دين الله في مختلف بقاع الأرض. سار بالناس باللين وبالتي هي أحسن طبقا لما أمره به الله سبحانه

وتعالى: "**أدْع إلى سبيل ربّك بالحكْمة والموْعظة الحسنة وجادلْهم بالتي هي أحْسن..**"[37]

وفي قوله سبحانه: "**فبما رحْمة من الله لنت لهمْ، ولوْ كنت فظا غليظ القلب لانْفضوا منْ حوْلك فاعْف عنْهمْ واسْتغْفرْ لهمْ وشاورْهمْ في الأمْر**".[38]

عند الأطفال:

إن التنشئة الاجتماعية في الأسرة وفي الجماعة التي ينقلها الكبار للصغار ومن السابقين إلى اللاحقين، هي التي ترسخ القيم وتتحدد المفاهيم. والاحتفال بالمناسبات الدينية تزود الأطفال بالقيم والمفاهيم الضرورية وتشركهم في إحيائها والتشبع بدلالاتها. وما الاحتفال بشهر رمضان وعرفة وعيدي الفطر والأضحى وعاشوراء وختم القرآن والمولد النبوي، إلا مظاهر تربط الطفل بمحيطه وبمعتقدات الجماعة، والواقع أن الطفل مرآة لوالديه، يمارس حياته تبعا لما تعلمه ورسخ في ذهنه من ممارسات يعيشها داخل الأسرة والمجتمع.

وقد كان أطفال الجزائر يحيون ذكرى المولد النبوي، إلى عهد قريب، باحتفال خاص مشابه لما هو متداول في مختلف البلاد المغاربية؛ حيث يجتمع أبناء الحي أيام المولد النبوي ويرددون أغان وأناشيد خاصة بهذه الذكرى، فيها مدح للنبي صلى الله عليه وسلم واستعادة ذكرى أمه آمنة ومرضعته حليمة السعدية وابنته فاطمة الزهراء. وهم في ذكرهم ذلك إنما يعتزون بنبيهم ويفخرون به، وبكل من له صلة به، منذ ولادته مرورا بالمشاكل التي اعترضت طريقه حتى التحاقه بالرفيق الأعلى.[39]

ومن تلك المقطوعات التي كانت تردد نذكر ما يلي:

صلى الله عْليكْ يا نبينا　　　يا الهاشمي يا رسول الله

صلى الله عليك ديما ديما　　　يـا الشريف ولْدْ حـليـمـة

أنت تفكْنا منْ صهْداتْ النارْ.[40]

ومنها أيضا:

آ مـولـودْ آمـولـود هـذا مـولـودْ النبي
والملايْكة في السما يفرّْحوا بوْلادة النـبي
يا عـايْشة لا ترْقدي حلي البابْ واتصنْتي
يا عايْشة لا ترْقدي والليْلة زادْ الـنْبـي.[41]

والأنشودة نوع من الشعر، وإيقاعية الشعر هي التي تمنحه الدوام والاستمرارية أفضل بكثير من النثر. والأطفال ميالون بطبعهم إلى التغني بالأناشيد، مما يؤدي إلى تنشيطهم وإدخال البهجة لديهم، وبها تطبع أذهانهم ونفوسهم بالقيم المرجوة في تنشئتهم.

يعرف عبد الفتاح عبد الكافي الأغنية أو الأنشودة في كتابه "الأدب الإسلامي للأطفال"، بأنها "نوع من أنواع الإبداع الشعبي، فهي غنية بفكرها، زاخرة بألحانها، عظيمة بمعانيها، إنها الصوت المحبب للنفس، والوجدان المتدفق، الذي لا يقبل التزييف. هي للناس جميعا كالأرض والماء والنار."[42]

يراقب الطفل والديه ويقلدهم في مراسيمهم ويعبر عن ذلك بكل عفوية، إن احتفالية الأطفال بمختلف أعياد المسلمين هي التي تعطي المناسبة مراسيمها وطابعها المميز. كانت الأم الجزائرية تقوم باكرا فجر يوم المولد النبوي، تطل من باب منزلها أو من شرفته لتطلق زغرودة حارة تخترق الجو الصامت فتزيده رهبة ومهابة، إنه مولد الرسول صلى الله عليه وسلم. يرى الأطفال ذلك فيحسون بالمناسبة ويطلقون العنان لغنائهم في تلك الأيام بمختلف التعابير.[43]

لقد مرت سنون دامسة على الشعوب الإسلامية، ساد فيها الفقر والجهل، وسيطر الأجانب على مقدرات البلاد، الذين حاولوا طمس الهوية الإسلامية ودمج الشعوب المغلوبة على أمرها في بوتقة المستعمر، ولكن الحس الديني والوطني أعطى حصانة لهذه الشعوب، التي حمت نفسها باستعادة أمجادها وتنوير أبنائها وتذكيرهم بعظمائهم، كان أعظمهم محمد

صلى الله عليه وسلم، في انتظار اليوم الذي تتحرر فيه هذه الشعوب وتستعيد حريتها واستقلالها.

ومن حب الجزائريين لنبيهم محمد صلى الله عليه وسلم، ترسيخ اسمه بين الأجيال بإطلاق أحد أسمائه على أبنائهم، فكل عائلة لا يخلو اسم النبي من أحد أفرادها، وسنستعرض بعض هذه الأسماء فيما يلي من الفقرات.

من الأسماء المتداولة للرسول محمد صلى الله عليه وسلم في المجتمع الجزائري:

جرت العادة في الجزائر أن يسمي الناس أول مولود لهم من الذكور باسم "محمد"، وقد يسمونه باسم مركب، كمحمد الأمين ومحمد الحبيب ومحمد الشريف ومحمد الصادق ومحمد الصغير ومحمد الطاهر ومحمد الطيب ومحمد الكبير ومحمد ندير.

أما الأسماء المعروفة للرسول في المجتمع الجزائري ومشتقاتها فهي(أغلبها):

محمد- أحمد- محمود- امْحمد- سيدي محمد- سيدْ أحمد- حميدة- حميمدْ- حمداوي-حميدات- الطاهر- طاهري- طهراوي- طاهيري- الحبيب- حبيبة- محبوبي- مصطفى- مصطفاوي- الميلودْ- مولودْ- ميلودة- ميلودي- المختار- مختارية- مختاري- الطيب- طيباوي- طيبي- البشير- بشيري- ندير(نذير)- طه- يس- الماحي- الأمين- بلقاسمْ- بلقاسْمي- بلقاسيمي- قاسمْ- الهاشمي- بلهاشمي- الهاشمية- عدنان- عدناني- الصادق- صديقي- صادوق- المدني- مكي- المكي- مكية- مكاوي- التهامي.

وتختلف دلالات كل اسم من هذه الأسماء، سنحاول التعريف بكل واحد منها على النحو التالي:

****محمد**: هو المحمود حمدا بعد حمد. وهو الاسم المشهور للنبي صلى الله عليه وسلم، الذي ورد في القرآن الكريم. مثل قوله سبحانه: "**محمّد رسول الله والذين معه أشدّاء على الكفار رحماء بيْنهمْ.**"[44]

و"**وما محمّد إلا رسول قدْ خلتْ منْ قبْله الرسل...**"[45]

أحمد: سماه الله سبحانه في صريح القرآن حكاية عن نبيه عيسى عليه السلام: "**وإذْ قال عيسى بْن مرْيم يا بني إسْرائيل إني رسول اللّه إليْكمْ مصدّقا لما بيْن يديّ من التوْراة ومبشرا برسول ياتي من بعْدي اسْمه أحْمد...**"[46]

امْحمد-محمود: امحمد: تحوير لاسم محمد، أما محمود: فتعني حامد لله ومحمود عند غيره، ويسمي بعض الجزائريين في منطقة القبائل اسم **محند**.

الأمين: سماه العرب بذلك قبل ظهور الإسلام، وهو في الإسلام أمين الله على وحيه ودينه.

البشير: أي المبشر لمن أطاعه بالثواب وبالجنة.

ندير(نذير): أي المخبر والمخوف من عاقبة الأمور. يقال من أنذر فقد أعذر.

بلقاسم- قاسم- قاسمي: اسم عامي لأبي القاسم، وهذا نسبة إلى ابنه القاسم وهو أكبر أولاده، حيث كان الرسول صلى الله عليه وسلم يكنى بأبي القاسم.

التهامي: تهامة أرض منخفضة بين ساحل البحر الأحمر وجبال الحجاز واليمن، كما أنها تعني مكة أو بلاد شرقي الحجاز وإلى الجنوب منها، والنبي محمد هو ابن هذا المكان، فهو منسوب إلى تهامة وهي مكة، وعليه يصبح وصف النبي صلى الله عليه وسلم بالتهامي وباليمني بهذا المعنى.

الحبيب: هي من صفات النبي، فهو حبيب الرحمن وحبيب المسلمين.

الصادق: لقبه قومه بالصادق الأمين، وهو المصدق لما نزل عليه من الوحي.

الطاهر: هو الطاهر في نفسه من النقائص الحسية والمعنوية.

طه- يس: اسمان وردا في القرآن الكريم، وتسمى سورتان بالاسم نفسه: سورة يس، وسورة طه.

الطيب: الطيب من الناس هو كل من تحلى بالفضائل وتخلى عن الرذائل، وهو طيب الرائحة وطيب الأخلاق.

****عدنان، عدناني**: عدنان هو جد القبائل العربية من إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وهو بالتالي أحد أجداد النبي صلى الله عليه وسلم. وعدناني: نسبة إلى عدنان.

****الماحي**: الماحي للذنوب بفضل شفاعته للمسلمين، والذي محا الله به الكفر. وفي هذا يقول النبي عليه الصلاة والسلام: "لي خمسة أسماء أنا محمد وأحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب."[47]

****المختار**: اختاره الله ليكون رسوله إلى الناس أجمعين.

****المدني:** نسبة إلى المدينة المنورة التي كانت تسمى بـ "يثربْ"، مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو الذي سماها بهذا الاسم بعد هجرته إليها، والتي كون فيها دولة الإسلام الجديدة، ومنها كان النصر للدعوة الإسلامية.

****المكي**: المنسوب إلى مكة المكرمة.

****مصطفى- مصطفاوي- مصطفاي**: اصطفاه الله من بين خلقه وكلفه بإبلاغ رسالة الإسلام.

****الميلود- ميلودي- مولود**: نسبة إلى احتفالية المولد النبوي.[48]

****الهاشْمي وبلْهاشمي**: نسبة إلى عشيرته بني هاشم القرشية.

ومن الأسماء المشهورة في العائلة الجزائرية، عن آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم نجد ما يلي:

****الحسن والحسين:** وهما حفيديه من ابنته فاطمة الزهراء. وغالبا ما يقترن الاسمان عندما يزداد للشخص توأمان ذكران.

****علي، سي عْلي- سيدْ علي- علال- حيْدار**: تبركا باسم الإمام علي بن أبي طالب، ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم، وزوج ابنته فاطمة، وصاحب السيف البتار الذي يفعل الأفاعيل في الكفار وهو على حصانه **السرحاني**.

ومن الأسماء الأنثوية نجد:

****ميلودة- الهاشمية- مكية- الطاهرة- حميدة- الشريفة- مختارية.**

****خديجة وعائشة**: وهما زوجتا النبي صلى الله عليه وسلم.

**فاطمة-رقية -زينب -أم كلثوم أو كلتوم: وهن من بناته.
**آمنة- يمينة- يامنة: وهذا لاسم أمه آمنة.
**حليمة- حلومة- السعدية - تاسعْديتْ: لمرضعته حليمة السعدية.

حب الرسول

إن الاحتفال بالمولد النبوي هو تذكير بالرسول لإتباع ما جاء به والعمل بسنته. وهو نوع من حبه والتعلق به؛ إذ أن حب النبي فرض على كل مسلم وواجب أكيد من الواجبات الدينية، ولا يتم إيمان أحد حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما. أو كما جاء في الحديث النبوي: "لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وفي حديث آخر: لا يؤمن العبد حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين."[49]

ويؤكد ذلك أحمد حماني، الرئيس السابق للمجلس الإسلامي الأعلى، في قوله: "لا شك أن هدف المسلمين من إقامة هذا العيد والاحتفال فيه هو إعلانهم عن حبهم النبي عليه الصلاة والسلام والإعراب عن وفائهم لذكراه والتمسك بدينه والانتساب إليه."[50] .

إن حب المسلمين لنبيهم لا يقدر بعدد ولا مسافة، إن حبه تابع لحب الله تعالى، فمن أحب الله تعالى أحب صلى الله عليه وسلم، وأحب أمره الذي جاء به لأنه أمر من الله تعالى. يحب المسلمون النبي لكماله، فهو أكمل خلق الله، وهو أعظم الخلق فضلا علينا وإحسانا إلينا.

والنفس تحب من أحسن إليها، ولا إحسان أكثر من إخراجها من الظلمات إلى النور. قال تعالى: "**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم.**"[51] ويكون الحب بتعظيمه وتوقيره وإتباع سنته والدفاع عنه ونصرة دينه الذي جاء به.

وإذا أردنا أن نأخذ نموذجا للاحتفاء بالنبي وبمولده صلى الله عليه وسلم، في بلاد غير بعيدة عن الجزائر، علينا أن نذكر ما لاقاه إخواننا المسلمون في الأندلس بعد سقوط دولتهم المسلمة، وتحكم الصليبيين في

مصائرهم، وهم الذين أصبحوا يسمون بـ "الموريسكيين." فماذا نعرف عن أساليبهم في المقاومة في مواجهة الصليبيين الأسبان؟ وماذا فعلوا، وهم في ظل الحكم المسيحي، بعد أن تعرضوا للاضطهاد والمتابعة حتى يتخلوا عن دينهم الإسلامي؟ لقد كانت سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ومدحه والدعاء له والاحتفال بمولده، من أهم الوسائل التي اعتمدوها في ذلك.

وهكذا انتهجوا في مختلف الموضوعات نهج الترجمة إلى الأعجمية وإلى الأسبانية عن أصولها في المصادر العربية الإسلامية. "ولعل أهم ما اصطنعوه في هذا المضمار هو سيرة ابن هشام كما جاءت في الكتاب المنسوب لأبي الحسن البكري، والموسوم: انتقال أنوار مولد المصطفى المختار ومعجزاته ومغازيه... فضلا عما أنتجوه ابتداء في محمد صلى الله عليه وسلم وفي سيرته، وخاصة ما تمثل عندهم في قصائد بلغتيهم: العربية والإسبانية."[52]

لقد جعل الموريسكيون من الدفاع عن النبي ضد مناوئيه من النصارى دينهم والاعتصام بمحبته. إن تعبيرهم عن الاعتصام بمحبته اتخذ عدة أشكال في الاحتفال بمولده وبتعظيمه، ومما أنتجوه من قصص مولده نثرا وشعرا، كان لهم ذلك لاستمداد القوة على التشبث بدينهم من خلال التمسك بذكر مولده والتعبير عنه، وكانت أمداحهم لشخصه درعا لهم في وجه الصليبية الاسبانية التي لا ترحم.

كانوا يستغلون كل مناسبة كمساء يوم الجمعة أو عند إقامة حفل عقيقة أو عرس أو تأبين.. للاجتماع على ذكر الله ومدح نبيه. كانوا متابعين من قبل السلطات الاسبانية لمنعهم من ذلك، والمتمثل في محاكم التفتيش[53] التي تتعدد أرشيفاتها بقضاياهم ومحاكماتهم، لما كانوا يقومون به للتمسك بتراثهم العقدي.[54]

لقد لقى المسلمون هناك الكثير من العنت والمتابعة والتعذيب الشديد القاسي من قبل رجال محاكم التفتيش. فمجرد الشك في انتماء الشخص إلى المسلمين –المنصرين- يعتبر تهمة. أما الدفاع عن محمد صلى الله عليه وسلم

أو عدم شرب الخمر أو تحاشي أكل لحم الخنزير، من قبل أي شخص، فمآله المحاكمة التي تؤدي إلى التعذيب والإعدام بوسائل مختلفة.[55] لقد كان تمسك المسلمين بدينهم هناك كالممسك على الجمر، وكان الدفاع عن النبي في وجه من يسبونه أمرا واردا على الدوام.

لقد مرت الأمة الإسلامية بتجربة مرة في الوقت الحاضر نتيجة تطاول بعض الغربيين المتعصبين على شخص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، عن طريق رسوم كاريكاتورية أو تعليقات لا تصدر عن أناس متحضرين ولا عن أناس متخلقين بالخلق الإنساني القويم. وكان رد المسلمين في كل مكان ردا واحدا متحضرا، منها التنديد بهذا العمل الشنيع والاحتجاج عليه، ومقاطعة سلع البلدان المؤيدة للعملية.. وبذلك التضامن وبتلك الوحدة عرف الآخرون مدى الحب الذي يكنه المسلمون بمختلف طوائفهم لنبيهم، ومدى استعدادهم للموت دونه. فكان تضامنهم وسعيهم الحثيث هو أن لا تعود مثل هذه الأعمال مستقبلا. وأثبتوا أنهم يحبونه ويعتزون به، وأنهم على أتم الاستعداد للدفاع عنه ومعاقبة كل من تحدثه نفسه بالعودة إلى إثارة المسلمين والمساس بنبيهم محمد صلى الله عليه وسلم.

وسواء واجهنا المسيئين للنبي بالرد الإيجابي أو السلبي، فإن الله ناصره في قوله تعالى: **وإنا لننصر رسلنا**... كما أنه سبحانه وتعالى مخلدا ذكره في علو وشموخ على مدى الأيام والسنين في قوله سبحانه: " **ورفعنا لك ذكرك**."

الهوامش:

1-أنظر: galhom.ahlamontada.net

2--جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، حسن المقصد في عمل المولد، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت 1405هـ/1985م. ص:.42

3-جلال الدين السيوطي، من مقدمة المحقق، ص: 63.

4-ج. الدين السيوطي. من مقدمة المحقق. ص: 16.

5-جلال الدين السيوطي، المصدر السابق، ص: 41.

6-جلال الدين السيوطي، المصدر السابق، ص:.56

7-جلال الدين السيوطي، نفسه، ص، 58-59.

8-نفسه.

9-أحمد حماني، محبة الرسول والأسوة به، مجلة الأصالة، العدد: 31، ربيع الأول 1396هـ/مارس .1976
10-أحمد حماني، المرجع السابق.
11-أحمد حماني، المرجع نفسه.
12- مولود قاسم نايت بلقاسم، اهتمام الأمم بأيامها، مجلة الأصالة، العدد: 44، ربيع الثاني 1397هـ/أفريل 1977م. كلمة مرتجلة في قاعة "المغرب" لبلدية وهران ليلة المولد النبوي الشريف سنة 1397هـ/الموافق لـ 2 مارس .1977
13-مولود قاسم.. المرجع نفسه.
14-جزء من حديث طويل أخرجه أصحاب السنن عن عبد الله بن مسعود.
15--يرى الأستاذ كمال بوزيد رئيس مصلحة ماري كوري لأمراض السرطان بمستشفى مصطفى باشا بالجزائر أن الأنواع الجديدة من المفرقعات تؤثر سلبا على صحة الإنسان، مؤكدا أن خمسين بالمائة من الأطفال الذين يصابون بحروق بليغة جراء المفرقعات، والذين تقل أعمارهم عن 12 سنة هم عرضة لسرطان الجلد بعد 25 سنة من الإصابة(الشروق اليومي في 24-12-2015.)
16-أحمد حماني، المرجع السابق.
17-أبو زكرياء يحي ابن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، جزءان، تقديم وتحقيق وتعليق عبد الحميد حاجيات، عالم المعرفة، الجزائر 2011.
18-عبد الملك مرتاض، حركة الشعر المولدي في تلمسان على عهد أبي حمو الثاني، مجلة الأصالة، العدد 26، رجب-شعبان 1395هـ/جويلية-أوت 1975، عدد خاص عن تاريخ تلمسان وحضارتها.
19-عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني(حياته وآثاره)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982، ص: 220-223.
20-سعيد بنحمادة، الاحتفال بالمولد النبوي بالغرب الإسلامي: بحث في السياق والدلالات، مجلة عصور الجديدة، العددان: 16-17، شتاء ربيع 1436هـ/2014-.2015
20-عبد المالك مرتاض، المرجع السابق.
21-أبو زكريا يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ص: 39. (كان ذلك سنة 760هـ).
22- أبو زكريا، المصدر السابق، ص: 46-47.
23- المقانة: ساعة حائطية كانت على باب قصر المشور بتلمسان، من أعاجيبهم في ذلك العصر، لم يبق اليوم سوى مكانها الدال على علو شأن حكام ذلك العصر. ويستعمل المغاربة اليوم الكلمة للتعبير عن الساعة.
24-محمد بن عبد الله التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، تحقيق وتعليق محمد بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985، ص: 162.
25- أبو زكريا: المصدر السابق، ص 180 و182. (قيلت سنة 768هـ)
26- أبو زكريا.. المصدر السابق، ص: 133-134-135. قيلت سنة 765هـ
27- محمد بن الأمير عبد القادر، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، الجزء الثاني، سيرته السيفية، المطبعة التجارية، الإسكندرية 1903، ص ص: 203-.204
28-تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، طبعة خاصة وزار المجاهدين،(Edition ANEP)، الجزائر 2001. ص: 387 و.389
29-تركي رابح، عبد الحميد بن باديس، المؤسسة الوطنية للاتصال، الجزائر 2008، الملحق ص: 529. لم نورد بقية أبيات القصيدة لأنها معروفة.
30- مسعود البشير بن الشيخ، أوراق من الذكريات، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر 2011، ص: .58
31-محمد الصالح رمضان، البصائر، العدد 167، الصادر يوم 26-05-.1939

32- محمد العيد محمد علي خليفة، الديوان، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع (مطبعة البعث، قسنطينة) 1967، ص: 75-78.

33-سورة آل عمران، الآية: 103.

34- محمد بن الحبيب الأمغاري الإدريسي الحسني، ديوان بغية المريدين وتحفة السالكين العارفين، ترتيب وتصحيح أبو حفص عمر، بخط اليد دون تاريخ ولا بلد. يوزع على مريدي الطريقة الدرقاوية بالجزائر والمغرب، ص: 82-83.

35-محمد بن الحبيب، المرجع السابق، ص: 81-103.

36-وقد حولت القصيدة إلى أنشودة تردد من قبل بعض الفنانين منهم مسعود كرتس.

37-36-سورة النحل 125.

38-أل عمران 159-160.

39-عبد القادر خليفي، من الموروث الثقافي الجمعي المغاربي، دار الأديب، وهران 2006، ص: 52..

40- زهرة خواني، أثر المولديات في الشعر الشعبي للأطفال، مجلة الفضاء المغاربي، إصدار مخبر الدراسات الأدبية والنقدية وأعلامها في المغرب العربي، العددان السادس والسابع، ذو الحجة 1432هـ/نوفمبر 2011م.

41- أوردنا بعض القصائد والمقطوعات الشعرية الشعبية التي يغنيها أطفال المنطقة الجنوبية الغربية من الجزائر في المناسبة، في كتابنا: " من الموروث الثقافي الجمعي المغاربي"، الصادر عن دار الأديب بوهران سنة 2006.

42- عبد الفتاح عبد الكافي، الأدب الإسلامي للأطفال، دار الفكر العربي، 1418هـ/1997م، ص: 35.

43-ما تزال النسوة تطلق العنان لأصواتهن بزغرودة مولده صلى الله عليه وسلم كلما حل اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الثاني، هذا ما لاحظته وسمعته ذات يوم من أيام 12 ربيع الأول من سنة 1435هـ/ الموافق ليوم 14 جانفي 2014 في حي الصباح بوهران، فتذكرت الوالدة وهي تقوم بالعمل نفسه منذ وعيت في الخمسينيات من القرن العشرين.

44- سورة الفتح، الآية: 29.

45- سورة آل عمران، الآية: 144.

46- سورة الصف، الآية: 6.

47-صحيح البخاري، المجلد الخامس، باب ما جاء في أسماء رسول الله.. الحديث رقم: 39. عالم الكتب، الطبعة الرابعة 1984، بيروت، ص: 24.

48-من مظاهر محبة الرسول الكريم من قبل الجزائريين، تسمية بعض شهور السنة الهجرية (ربيع الأول)باسم شهر ميلاده. حيث يسمي سكان المنطقة الجنوبية الغربية شهري ربيع الأول وربيع الثاني بـ: سيد الميلود والتابع الميلود" على التوالي. وقد أنشأ بعض الرياضيين فرقة في كرة القدم سنة 1921 بمناسبة المولد النبوي سموها "مولودية الجزائر"، تبركا بهذا اليوم وبصاحبه، حيث توافق يوم التأسيس 7 أوت مع يوم 12 ربيع الأول 1339هـ. والأمر نفسه تصادف مع تأسيس ناد رياضي في قسنطينة بحي 40 شريفا، فسمي النادي مولودية قسنطينة (Moc)، لتزامن التأسيس(4 ديسمبر 1939م) مع أيام المولد النبوي الشريف (صالح سعودي- الموسوعة الحرة).

49-أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، الجزء الرابع، مطبعة الحلبي وأولاده بمصر، 1347هـ، ص: 253.

50-أحمد حماني مرجع سابق.

51-آل عمران 31.

52--فريدة بنعزوز، دفاع الموريسكيين عن صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وتمسكهم بسيرته واعتصامهم بمحبته، مجلة كلية الآداب، جامعة عبد المالك السعدي، تطوان، العدد: 16 سنة 2011.

53-**محاكم التفتيش**: مؤسسة ظهرت في إسبانيا سنة 1478م، كبديل لمحكمة التفتيش البابوية التي كانت سائدة في القرون الوسطى. كانت تحت السيطرة المباشرة للملكية، وكانت إسبانيا نموذجا لدولة دينية سلطوية، تعين الكنيسة فيها الملوك والأباطرة الذين يحكمون بحاكمية تسمى ظل الله في الأرض أو قانون الحق الإلهي. استهدفت

إجبار اليهود والمسلمين على التنصر، كما استهدفت المعتقدات المسيحية الأخرى وبخاصة البروتستانتية. وبحلول سنة 1571م أصبح 82 في المائة من المحاكمين من الموريسكو.

54- فريدة بنعزوز، دفاع المورسكيين، المرجع السابق.

55-من الأمثلة على ذلك: عوقبت امرأة تدعى جوانا(Juana) -1567م- وهي أمة بمالقة عندما تسلقت مصعدا حاملة قدرا مملوءة ماء ساخنا. وعندما أوشكت على السقوط والانزلاق صاحت: يا محمد! مستنجدة بالرسول. "وفي كثير من الأحيان كان الموريسك لا يتحملون من يسب أو يشتم الرسول. من ذلك أن أحد الموريسك عندما وصل ليقتني خمرا من الحانة قد استقبل عند مدخل الحانة بهذه الألفاظ: لتحرق النار الخالدة محمدا، غير أنه لم يتماسك عن الرد: إن محمدا يعد رجلا خيرا وطيبا." من كتاب: الموريكيون الأندلسيون والمسيحيون... لوي كاردياك، تعريب وتقديم عبد الجليل التميمي. منشورات المجلة التاريخية المغربية وديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، تونس 1983، ص 22-23.